

ندوات تلفزيونية - قناة اقرأ - الإسلام منهج حياة - الدرس (٣٠-٠٤) : علاقة الإنسان بالله ٢ ،
مقومات حمل الأمانة - الكون والعقل والفطرة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٦-٠٨-٢٠٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أهلاً بكم في حلقة جديدة في برنامج "الإسلام منهج حياة" .

وأرحب بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي - حفظه الله - الداعية الإسلامي .

فضيلة الدكتور ، تقدم معنا في تعريف العبادة بأنها طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، مستندة إلى معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

وذكرتم أن الإنسان هو الوحيد من بين المخلوقات الذي حمل الأمانة ، فما هي مقومات حمل الأمانة؟ وإلى ماذا يستند هذا الحمل الثقيل؟.

مقومات حمل الأمانة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أستاذ جميل ، الأمانة هي نفس الإنسان أوكله الله إياها ، وقد قال الله عز وجل :

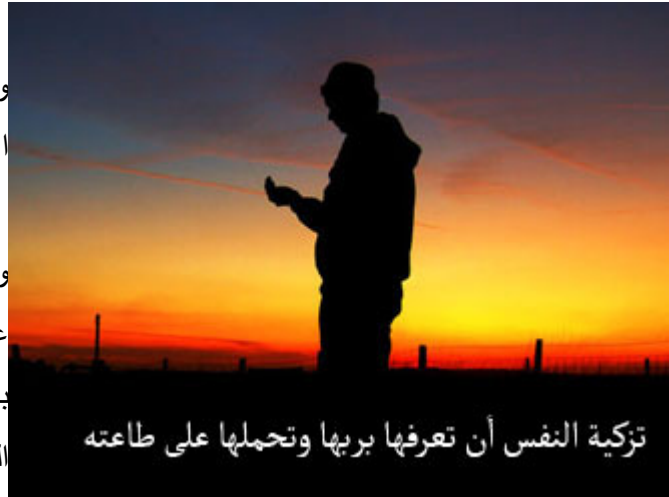
(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

(سورة الشمس)

والفلاح هو النجاح مع الله ، النجاح في الآخرة ،

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

ومعنى زكاهها أنه عرفها بربها ، وحملها على طاعته ، ودفعها للترقب إليه بالأعمال الصالحة ، وهذا هو ثمن الجنة التي خلقنا من أجلها .



تزكية النفس أن تعرفها بربها وتحملها على طاعته

فالأمانة هي نفس الإنسان التي بين جنبيه ، جعلها الله أمانة عنده ، فسعادته بيده وشقاؤه بيده ، فإذا زكاه سعد في الدنيا والآخرة ، وإذا دساها جعلها بعيدة عن ربها .

إن لم تنضبط بمنهج الله عز وجل ، وأسأت إلى خلق الله ، شقيت في الدنيا والآخرة ، وحينما حمل الله الإنسان هذه الأمانة أعطاه مقوماتها ، وهذه المقومات هي معرفة الله أولاً والتقرب إليه ثانياً ، يعرفه من خلال هذا الكون الذي ينطق بكل جزئية من جزئياته بوجود الله ، ووحدانيته ، وكماله ، وكل أسمائه الحسنى تراها في هذا الكون ، وكأن الكون مظهر لأسماء الله الحسنى .

كل ظاهرة في الكون تدل على عظمة الله ووجوده ووحدانيته :



إذاً الكون الثابت الأول ، لا يختلف عليه اثنان ، كل البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعرافهم ، وأنسابهم ، الكون أمامهم بين أيديهم ، الشمس ، القمر ، الليل ، النهار ، الأطيوار ، الأسماك ، البحار ، الجبال ، كل هذه المظاهر تنطق بوجود الله ووحدانيته ، وكماله ، وأنا أسمى الكون الثابت الأول .

بل إن بعض العلماء يقول : "الكون قرآن صامت ، والقرآن كونه ناطق ، والنبى عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي " ، فنحن عندنا قرآن صامت هو الكون ، وكون ناطق هو القرآن ، وإنسان جعله الله قدوة لبني البشر ، إنسان أخلاقه هي القرآن ، قرآن يمشي .

إذاً هو الثابت الأول ، والحديث عن آيات الله في الكون لا تنتهي ، آيات الله في الكون الحديث عنها يحتاج إلى سنوات وسنوات ، كل ظاهرة في الكون تدل على عظمة الله ، على وجود الله ، على وحدانية الله ، على قدرة الله ، على علم الله ، على حكمة الله ، فهذا الكون مظهر ، أو إن صحّ التعبير تجسيد لأسماء الله الحسنى ، وصفاته الفضلى .

معرفة الله تكون عن طريق آياته الكونية خلقه وآياته التكوينية أفعاله وآياته القرآنية كلامه:

ذكر الله في القرآن الكريم ألف و ثلاثمئة آية عن الكون ، وكأنها منهج للتفكر ، وعلاقتنا بالكون هذه الآية :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّالِبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ)

الشاهد :

(وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

(سورة آل عمران)

هذه الآيات الكونية التي خلقه يقابلها
آيات تكوينية هي أفعاله .

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)

(سورة الأنعام)

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا)

بمعنى آخر ،

(كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)

فنحن ننظر في أفعال الله ، فنعرف الله من خلالها ، وننظر في خلق الله فنعرف الله من خلال هذه
الآيات .

بقي الآيات القرآنية هي كلامه .

أصل الدين معرفة الله عز وجل :

إذا أصل الدين معرفة الله عز وجل ، إن عرفت الأمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الأمر ، أما
إذا عرفت الأمر ولم تعرف الأمر تفننت في التقلت من الأمر ، وهذا حال بعض المسلمين ، ما
عرفوا الأمر ، لكنهم عرفوا الأمر ، فتفننوا في فتاوى ضعيفة ، بلف ودوران حول قواعد الشرع ،
وكانهم تحلوا من هذا الشرع بفتاوى أو باجتهادات ما أنزل الله بها من سلطان .

فالشاهد أنك إن عرفت الأمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الأمر ، أما إذا عرفت الأمر ولم
تعرف الأمر تفننت في التقلت من هذا الأمر ، معرفة الله عن طريق آياته الكونية خلقه ، عن طريق
آياته التكوينية أفعاله ، عن طريق آياته القرآنية كلامه .

الأستاذ جميل :

إذاً فضيلة الدكتور الكون هو المقوم الأول ، والثابت الأول .

المؤمن تجاوز الكون إلى المكون و النعمة إلى المنعم :

الدكتور راتب :

هو القاسم المشترك بين كل البشر ، أينما ذهبت في الأرض ، شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، دول قوية ، ضعيفة ، الكون لا يختلف ، والإيمان به ثابت .

فالبطولة إذاً أن المؤمن تجاوز الكون إلى المكون ، بينما غير المؤمن بقي عند الكون ، المؤمن تجاوز النعمة إلى المنعم ، غير المؤمن بقي عند النعمة ، المؤمن تجاوز التسيير إلى المسير ، الخلق إلى الخالق ، الحكمة إلى الحكيم ، عملية تجاوز ، وكأن المؤمن جسر تنتقل به إلى معرفة الله عز وجل .

الأستاذ جميل :

الكون إذاً فضيلة الدكتور هو المقوم الأول لحمل الأمانة ، والكون ينظر بالعقل ، فمن كان له عقل استطاع أن يتفكر في هذا الكون ، فماذا عن العقل أيضاً ؟.

العقل أداة معرفة الله عز وجل بشرط أن يكون الوحي نوراً يهتدي به العقل :

الدكتور راتب :



العقل جهاز أعطانا الله إياه ، وهو من أثنى ما مكن الله به الإنسان ، العقل له مبادئ ثلاثة ، مبدأ السببية ، والغائية ، وعدم التناقض ، ونظام الكون بني على نظام السببية ، ونظم الكون بني على نظام الغائية ، والكون لا يقبل التناقض . كما أن العقل لا يقبل التناقض . فهذا العقل أداة معرفة الله عز وجل ، لكنه قد يطغى .

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَى)

(سورة العلق)

(إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَفَتَلَّ كَيْفَ قَدَرَهُ * ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرَهُ)

(سورة المدثر)

إذاً العقل مع أنه ميزان دقيق قد يطغى لماذا ؟ لأن العين لا قيمة لها من دون نور يتوسط بينها وبين المرئيات ، وكذلك العقل مع أنه أثنى آلة منحنا الله إياها ، لا يجدي نفعاً في معرفة الحقيقة ، إلا إذا كان الوحي وسيطاً بينه وبين القضايا الكبرى ، فكما أن النور ضرورة للعين ، كذلك الوحي ضرورة للعقل ، فالعقل يحتاج إلى وحي ليتكاملاً ، والعين تحتاج إلى نور ليتكاملاً ، فالعقل أداة معرفة الله بشرط أن يكون الوحي نوراً يهتدي به العقل ، أما العقل من دون وحي كما ترى في العالم ، كما ترى النزعة المادية ، وكما ترى أن الإنسان يشقي نفسه بذاته .
الأستاذ جميل :

إذاً الإنسان أوتي أولاً الكون ، ثم أوتي العقل ، وهو يحاسب ويحاكم بعقله ، وينظر في هذا الكون ، أيضاً من مقومات التكليف الفطرة .

الفطرة مقياس نفسي يكشف الإنسان بها أخطائه :

الدكتور راتب :

الفطرة ، الفطرة مقياس نفسي ، الله عز وجل فطر الإنسان فطرة دقيقة جداً يكشف الإنسان بها أخطائه ، قال تعالى :

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

(سورة الشمس)

بمعنى أنها حينما تتقي تعلم ذاتياً أنها اتقت ، وحينما تفجر تعلم ذاتياً أنها فجرت .
إذاً الإنسان :

(بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ)

(سورة القيامة)

هذه خصيصة في الإنسان أن فطرته متوافقة مع الشرع تماماً ، فأى خطأ في الشرع ينعكس ضيقاً في الفطرة ، وأي خطأ في تطبيق منهج الله عز وجل ينعكس إحساساً بالذنب ، أو تأنيباً للضمير إن صحّ التعبير .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

دكتور أظن أن للحديث بقية ، ونتابعه إن شاء الله في حلقة قادمة ، نشكر لكم حضوركم ، ونشكر لكم أيها الأخوة المشاهدون متابعتكم ونلتاقم في رعاية الله وحفظه .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين